مَجَلَّةُ الِاسْتِيعَــابِ
Issn : 2661-7625 Eissn : : 2773-3947
المجلد: السّــادس / العـدد: الأوّل ص 36-45

جدلية تجديد الخطاب الديني الإسلامي في ميزان مناهج النقد السياقية

دراسة سوسيونفسية

Renewal of Islamic religious discourse through contextual critical approaches

Psychological Social Study

عطار إكرام [1]

[1] جامعة أبو بكر بلقايد (تلمسان)، attarikram13@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/02/09 تاريخ القبول: 2024/03/03 تاريخ النشر: 2024/03/26

ملخص:

يعتبر الخطاب الديني المعاصر من أهم القضايا التي تشغل الدارسين والباحثين فهو الذي يشكل المعرفة الدينية الجمعية ويحدد أنماطها، ومنه كان تجديد الخطاب الديني ضرورة حتمية نظرا للمتغيرات الكثيرة التي طرأت على الواقع، وفرضت التأسيس لخطاب ديني جديد يستجيب لمتطلبات العصر واحتياجات المسلم، وعليه نسعى في هذه الدراسة إلى القيام بدراسة نقدية للخطاب الديني المعاصر من خلال مناهج النقد السياقية، ومن ثمة النظر في سبل تجديد الخطاب الديني بالاستعانة بذات المناهج، مع التركيز على الخصوصيات النفسية والاجتماعية التي يجب مراعاتها في التأسيس لخطاب ديني جديد.

كلمات مفتاحية: الخطاب الديني، المنهج ، النقد، المناهج السياقية.

Abstract:

Contemporary religious discourse is one of the most important issues of concern to scholars and researchers. It constitutes the society's religious knowledge and determines its patterns The renewal of religious discourse was an imperative in view of the many changes that had taken place in reality, It imposed the foundation of a new religious speech that responds to the requirements of the times and the needs of the Muslim And therefore in this study we seek to critically study contemporary religious discourse through

contextual critical approaches, Consideration of ways to renew religious discourse using the same curriculum new religious discourse ", focusing on the psychosocial specificities that must be taken into account in establishing a new religious discourse.
Keywords: Religious discourse, curriculum, criticism, contextual curricula.

[1] **المؤلف المرسل**: عطار إكرام، attarikram13@gmail.com

1. مقدمة:

يعتبر الخطاب الديني المعاصر من أهم القضايا التي تشغل الدارسين والباحثين فهو الذي يشكل المعرفة الدينية الجمعية ويحدد أنماطها، ومنه كان تجديد الخطاب الديني ضرورة حتمية نظرا للمتغيرات الكثيرة التي طرأت على الواقع، وفرضت التأسيس لخطاب ديني جديد يستجيب لمتطلبات العصر واحتياجات المسلم، وعليه نسعى في هذه الدراسة إلى القيام بدراسة نقدية للخطاب الديني المعاصر من خلال مناهج النقد السياقية، ومن ثمة النظر في سبل تجديد الخطاب الديني بالاستعانة بذات المناهج، مع التركيز على الخصوصيات النفسية والاجتماعية التي يجب مراعاتها في التأسيس لخطاب ديني جديد، وكانت هذه المناهج النقدية في بداية ظهورها تعنى بنقد النص الأدبي ثم تم بعد ذلك إسقاطها على النصوص الدينية خاصة الإنجيل في عصر النهضة، نستطيع الاستفادة منها كذلك في نقد الخطاب الديني الذي أصبح تجديده هاجسا وضرورة ملحة في هذا العصر وفي ظل تحديات العولمة التي تواجه المسلم، ومنه فإن الإشكالية الأساسية لهذه المقال هي: ما هو واقع تجديد الخطاب الديني الإسلامي في ميزان مناهج النقد السياقية؟ وما هي سبل الاستفادة من هذه المناهج في تجديد الخطاب الديني الإسلامي؟

2. مفهوم تجديد الخطاب الديني

1.2 مفهوم التجديد:

قال الجَوهَريُّ: "جَدَّ الشيءُ يَجِدُّ بالكسر جِدَّةً ، صَارَ جَدِيداً ، وهو نَقِيضُ الخَلَقِ". وقال أيضاً : "وتَجَدَّدَ الشيءُ صَارَ جَدِيداً ، وأجَدَّهُ واسْتَجدَّهُ ، وجَدَّدَهُ : أي صَيَّرَه جَدِيداً". (الجوهري، صفحة 254)

وقال المودودي: المجدِّد هو"كل مَنْ أحيا معالم الدين بعد طموسها وجدَّد حبله بعد انتقاضه" (أبو الأعلى المودودي، صفحة 09)

وقال أيضاً:" التجديد في حقيقته هو: تنقية الاسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية ، ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً على قدر الامكان ، ومن هنا يكون المجدَّد أبعد ما يكون عن مصالحة الجاهلية ، ولا يكاد يصبر على أن يرى أثراً من آثارها في أي جزء من الاسلام مهما كان تافهاً". (أبو الأعلى المودودي، صفحة 44)

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي:" وتجديد الشيء ليس معناه أن تزيله ، وتنشئ شيئاً جديداً مكانه ، فهذا ليس من التجديد في شيء ، تجديد شيء ما أن تبقي على جوهره ومعالمه وخصائصه ولكن ترمم منه ما بلي ، وتقوي من جوانبه ما ضعف...إن تجديد الدين بمعنى تجديد الايمان به وتجديد الفهم له والفقه فيه ، وتجديد الالتزام والعمل بأحكامه وتجديد الدعوة إليه ". (يوسف القرضاوي، صفحة 31)

2.2 تعريف الخطاب الديني

- الخطاب: يعرفه طه عبد الرحمن:"كل منطوق به موجه للغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا" (طه عبد الرحمن، 1998، صفحة 226)

ويعرفه ميشال فوكو على أنه شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب (نعمان بو قرة، صفحة 36)وإليه يعود المفهوم المعاصر لمصطلح الخطاب وهو مصطلح لساني يتميز عن النص والكلام والكتابة وغيرها، ويشمل كل إنتاج ذهني سواء أكان نثرا أم شعرا منطوقا أم مكتوبا فرديا أم جماعيا ذاتيا أم مؤسسيا وللخطاب منطق داخلي ارتباطات مؤسسية، فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها، أو يحمل معناها، أو يميل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما. (ميشال فوكو، 2007، صفحة 08)وقد آل البحث مع رواد المدرسة الفرنسية لتحليل الخطاب إلى ضبط مفهومه ضمن أربعة أصناف: صنف متعلق بالتموقع في حقل خطابي مثل الخطاب الإسلامي، أو الخطاب القومي، أو الخطاب العلماني،... وصنف

نمط الخطاب مثل الخطاب الصحفي أو الخطاب الأداري،... وصنف مداره حول إنتاجات كلامية مخصوصة لصنف متكلمين مثل خطاب الممرضات، أو خطاب ربات العائلات، أو خطاب لاعبي كرة القدم...وصنف مرتبط بوظيفة الكلام مقل الخطاب السجالي، والخطاب الإلزامي... (مختار الفجاري، 1435، صفحة 534)وعليه يكون الخطاب بنية شاملة تضم النص في بنيته الداخلية والكلام المنطوق الشفهي وسياقه الديني والاجتماعي والثقافي والسياسي والأخلاقي...

الخطاب الديني الإسلامي: هو خطاب يتضمن محتويات دينية عقدية اسلامية أو يهدف لها، وهو ثابت الأصول والأسس، ومتغير في المنهج والطريقة واللغة، كما أنه يخاطب العواطف أحيانا، ويتوجه إلى العقول أحيانا أخرى. (عمر زقاي، 2012، صفحة 27)

التعريف الإجرائي لتجديد الخطاب الديني: هو إعادة فهم الدين وإحياء العمل به وتفعيله في الواقع وطرحه في خطاب ديني يتلاءم مع متطلبات العصر واحتياجات المجتمع.

3. واقع تجديد الخطاب الديني الإسلامي

يشهد الفكر الإسلامي المعاصر دعوات ومحاولات عديدة لتجديد الخطاب الديني وذلك بسبب حالة التقدم والتطور التي يشهدها العالم وعولمة المجتمعات وفق النموذج الغربي والتحديات التي وجد المسلم نفسه أمامها وفرضت عليه مجاراتها دون التخلي عن هويته الإسلامية، فدخل في موجة من الأزمات و المشاكل نتج عنها سقوط وانهيار حضاري للأمة الإسلامية، وعليه أصبح التجديد ضرورة حتمية لا بديل لها وتبعا لهذا ظهرت في الساحة الإسلامية مجموعة من التيارات التي حاولت تجديد الخطاب الديني المقدم للمسلم حتى يتناسب مع عصره:

أ/ **الخطاب الديني السلفي:** ظهر بشكل كامل مع دعوة محمد بن عبد الوهاب، وقد اتخذت من التوحيد والسنة منطلقاً، وناقشت قضايا الشرك في العبادة، وتصحيح العقائد من البدع والمحدثات، وجعلت ذلك

مدخلاً للإصلاح السياسي والحضاري العام، وتميز هذا المشروع الإصلاحي باستعداء الأفكار الغربية و الدعوة إلى مقاطعتها، مقابل محاكاة التراث الإسلامي و الاعتماد عليه في عملية الإصلاح.

ب/ خطاب الوسطية الإسلامية :الذي تمثله مدرسة الإحياء والتجديد والجمع بين الأصالة والمعاصرة ومواجهة تحديات وأخطار العولمة التي يعيشها المجتمع الإسلامي ، ومواجهة الأحداث بواقعية ومرونة وحكمة ويتصدر هؤلاء: الدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور محمد عمارة، والشيخ محمد الغزالي، وآخرون.

جـ/ خطاب التيار التحرري (الحداثي والتنويري) يعتمد الفكر الحداثي على فكرة أساسية و هي محاكاة و تقليد الغرب واستعمال مناهجهم النقدية، وفي المقابل قطع الصلة مع التراث الإسلامي الذي في نظرهم لم يعد يفيد الأمة فتبنى هذا التيار النموذج الحضاري الغربي. (علي المحافظ، 1983، صفحة 162)

4. تعريف مناهج النقد السياقية

السياق هو المرجع الذي يحال إليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادة القول، من خلال معرفة الظروف المحيطة بالنص، وبرزت المناهج التي تهتم بتاريخية النص واجتماعيته وواقعيته، وأطلق عليها اسم القراءات السياقية ونحن نسعى إلى استخدام خذه المناهج ليس في النص بحد ذاته إنما على الخطاب الديني في فهمه وتوظيفه للنص، من بين هذه المناهج:

أ/ المنهج التاريخي: هو المنهج الذي يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير وتعليل ظواهره، فهو يعمل على إبراز الظروف التاريخية التي أنتج فيها النص ودراسته لا تكون هدفا قائما بذاته بل تتعلق بخدمة هذا النص. (أحمد أمين، صفحة 08)

ب/ المنهج الاجتماعي: أدخل هذا المنهج البعد الاجتماعي السياقي المحيط بالنص ليكون من المعطيات النقدية التي يتعامل معها الناقد ويفحصها ويستنير بها، وعليه لن يكون – ضمن هذه الرؤية – النص معزولا عن محيطه الاجتماعي والتاريخي وظروف انتاجه. (شوقي ضيف، صفحة 118)

جـ/ المنهج النفسي: هو ذلك المنهج الذي يخضع النص للبحوث النفسية، ويحاول الاستفادة من الظواهر النفسية في تفسيره، والكشف عن علله وأسبابه ومنابعه الخفية وخيوطه الدقيقة وآثاره الممتدة. (عبد الجواد المحمص، صفحة 87)

د/ النقد الثقافي: يعرف مالك بن نبي الثقافة على أنها:" مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته، كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل في الفرد طباعه وسلوكه" (مالك بن نبي، 2019، صفحة 33)وعليه يقوم النقد الثقافي على دراسة النص والخطاب من حيث علاقته بالإيديولوجيات والمؤثرات الاجتماعية والفكرية والأخلاقية والعقدية التي ترافق تشكل الخطاب.

5. محاولات تجديد الخطاب الديني في ضوء مناهج النقد السياقية:

تطرقنا في ما سبق إلى واقع تجديد الخطاب الديني والتيارات التي حاولت تحقيق النهضة الفكرية للمسلمين من خلال طرح جديد للخطاب يتلاءم مع العصر، وكل تيار قد رأى المشكلة من زاويته وحاول تقديم رؤيته التجديدية، إذا وضعنا هذه المحاولات في ميزان المناهج السياقية فإننا نسجل النقاط التالية:

-التيار السلفي:

يبني التيار السلفي رؤيته التجديدية على التمسك بالتراث، ويرى أن تطبيق وتفسير وفهم النصوص الدينية ينبغي أن يكون وفق مفهوم المجتمع الإسلامي الأول لأنه الأحسن في فهم لغته ومراده كما أنه عايش النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن هذا التيار قد تناسا أن المجتمع الإسلامي الأول كان يعيش في ظروف اجتماعية ونفسية وثقافية مختلفة تماما عن المسلمين في هذا العصر، كما أنه كانت تحيط به ظروف تاريخية مغايرة، وكل هذه الجوانب ساهمت في تشكله على مر التاريخ فهو لم يكن مجردا عن التأثيرات الخارجية وبيئته، وبالتالي لا بد من دراسة نقدية لسياق الخطاب الديني التراثي من جوانبه التاريخية والاجتماعية والنفسية والثقافية حتى يكون لنا صورة واضحة لهذا الخطاب طريقة تشكله، لنستطيع الاستفادة منه في هذا العصر، ونكون خطابا دينيا جديدا مناسب لهذا العصر كما كان الخطاب الديني التراثي مناسبا للمجتمع الإسلامي الأول.

التيار التحرري:

عمد التيار التحرري إلى استعمال المنهج التاريخي في النقد، ليصل إلى نتيجة مفادها ضرورة قطع الصلة تماما مع التراث الإسلامي لأنه أنتج وفق ظروف تاريخية معينة لست موجودة اليوم، وواصل دراسته النقدية التاريخية

على النص الديني كذلك ليغير بعض المفاهيم التي رأى أنها تاريخية كذلك، وفي المقابل تبنى الرؤية التجديدية الغربية واقتبس منها أفكاره ومناهجه دون نقد أو تمحيص وتناسا هذا التيار حين تبنيه الرؤية الغربية الاستعانة بالمناهج السياقية الاجتماعية والنفسية الثقافية ليدرس ظروف تكون الأفكار والمفاهيم الغربية ومعرفة حيث أنه من المؤكد أن هذه الأفكار قد نتجت عن ظروف اجتماعية خاصة استجابة لمتطلبات المجتمع الغربي، وهي تلائم البنية النفسية للإنسان الغربي الذي تتوجه له كما أنها قد تكونت وفق النموذج الثقافي الغربي، لذلك وجب قبل تبني هذه الأفكار والمفاهيم دراسة أولا السياق النفسي والاجتماعي والثقافي والتاريخي الذي أنتجت فيه لمعرفة مدى صلاحيتها في مكان آخر ، ثم لا بد أيضا من دراسة الظروف التاريخية والاجتماعية والنفسية والثقافية للمجتمع المراد نقلها له المجتمع الإسلامي فالتيار الحداثي في غالبيته لم يدرس المجتمع الاسلامي إلا في الجانب السياسي لذلك فإن رؤيته غابت عنها الفعالية لأنه نقل الأفكار بطريقة التسويق ليس سوى مظاهر تحجب رؤية المشكلة وتعيق الحل.

تيار الإحياء والتجديد:

يعتبر هذا التيار هو توفيقي بين التيار السلفي والتحرري، فقد حاول تقديم رؤية وسطية والجمع بين الأصالة والمعاصرة، ورؤيته لتجديد الخطاب الديني يعبر عن منهج الوسطية الإسلامية، فهو يستفيد من التراث الإسلامي مع الانفتاح على مختلف المعارف والعلوم، ويعتبر خذا التيار الأنجح في تقديم خطابي يحافظ على الهوية الإسلامية ويتلاءم مع العصر، ولكنه يحتاج إلى جهد وعمل أكثر خاصة من جهة توظيف المناهج السياقية في دراسة الواقع الحالي والحالة الاجتماعية والنفسية والثقافية للمسلم اليوم حتى يكون الخطاب الديني أقرب له وأكثر فعالية.

6. سبل الاستفادة من مناهج النقد السياقية في تجديد الخطاب الديني

إنه من أجل تجديد الخطاب الديني لا بد من دراسة سياق التشكل وسياق التلقي بمعنى معرفة السياق الذي تشكل فيه الخطاب الديني على مر تاريخ العالم الإسلامي، ومعرفة سياق المتلقي في العصر الحالي وما يحيط به حتى نتمكن من تقديم خطاب ديني مناسب له ويكون ذلك من خلال:

مراعاة البعد التاريخي و الثقافي:

ذكرنا أن الخطوة الأولى في تجديد الخطاب الديني هي دراسة السياق التاريخي لتشكل هذا الخطاب حتى وصوله إلى صورته التي انتهى إليها، والتي اتسمت بفقدان الفعالية والتأثير، بسبب المتغيرات الكثيرة التي طرأت على الواقع، ومن خلال دراسة السياق التاريخي للتشكل نستطيع تجديد هذا الخطاب وإحيائه وذلك بالوقوف على ما ينتمي لحقبة تاريخية معينة لا يمكن الإبقاء عليه والاستفادة منه في العصر الحالي وبين ما يزال صالحا للتطبيق وقابلا للتنفيذ، ويبقى التاريخ بكل مكوناته جزء من الثقافة الإسلامية وأرضية صلبة للتجديد فلا يمكن لأي أمة تجديد حاضرها بعيدا عن ماضيها.

الوقوف على حالة النفسية للمسلمين:

إنه من أجل تجديد الخطاب الديني الإسلامي ينبغي دراسة البنية النفسية للمسلم، من تحليل وتتبع انفعالاته وعواطفه وتصرفاته وردود أفعاله التي تنبع إما من الشعور أو اللاشعور، ومعرفة التحديات النفسية التي يعاني منها المسلمون والأمراض النفسية المنتشرة في العالم الإسلامي ومن خلال الوقوف على ما ذكرنا المفكر أن يعرف جوانب التأثير في المتلقي وما يحتاجه المسلمون وتقديم خطاب ديني وفق ذلك، من خلال التركيز على الجانب الروحاني والإيماني في الإسلام الذي دعا إلى تحقيق التوازن بين جانبي الإنسان، وجعل الإيمان هو غذاء الروح والقلب وكلما زاد الإيمان في قلب العبد كلما شعر بالراحة الطمأنينة والعكس إذا نقص وغاب عنه، ولا بد في تجديد الخطاب العقدي من إبراز المفاهيم الإسلامية التي اعتنت بالصحة النفسية للإنسان وشرحت كيف يتعامل مع تقلباته المزاجية والتحديات النفسية التي يواجهها.

معالجة التحديات الاجتماعية:

نستطيع من خلال توظيف المنهج الاجتماعي معرفة حال المجتمع الاسلامي والمتغيرات التي طرأت عليه وإمكاناته ونقائصه، وتقصي القيم الاجتماعية في الإسلام، ومعرفة نقاط الاختلاف والتوافق بين الأفراد والعوامل التي تجمع الأمة والأخرى التي تفرقها، ومعرفة الظروف المحيطة بالمجتمع من أجل الوقوف على خصوصيه وكل ما يتعلق به، ما يمكن من تقديم خطاب ديني جديد يتوافق مع المجتمع الإسلامي وينبع منه

فيكون هذا الخطاب استجابة للتحديات التي تواجهه لا هو خطاب تراثي مستجلب من التاريخ فقد فعاليته، ولا خطاب نابع من مجتمع مختلف اقتطع من بيئته وفقد فعاليته.

7. خاتمة:

ما نخلص إليه بعد الفراغ من هذه الورقة البحثية هي أن مناهج النقد النسقية تعتبر أداة مهمة في تحديد الخطاب الديني، سواء من جانب نقد التيارات الفكرية التي حاولت تحديد الخطاب الديني، أو من جانب الاستفادة منها وتوظيفها في تقديم خطاب ديني جديد يتلاءم مع متطلبات العصر واحتياجات المجتمع، أما بالنسبة للجانب الأول فنلاحظ على التيار السلفي الاكتفاء بالخطاب الديني التراثي وإهمال الجوانب التاريخية والاجتماعية والنفسية في هذا الخطاب التي لا تتوافق مع العصر، أما التيار التحرري فنأخذ عليه مبالغته الكبيرة في الاعتماد على الأفكار والمفاهيم الغربية متناسيا أنها وليدة بيئة خاصة بها لا تصلح في بيئة أخرى، وقطع الصلة تماما مع التراث، أما التيار التجديدي الإحيائي فكان الأقرب إلى منهج الوسطية الإسلامية وحاول التوفيق بين التيارين السابقية و لكن نأخذ عليه غياب الفعالية والتأثير الكبير، أما في ما يخص الجانب الثاني فنستطيع استخدام هذه المناهج في تقديم خطاب ديني أكثر ملاءمة لحال المسلمين ويكون أكثر تأثيرا عليهم من خلال دراسة الخطاب الديني وتشكله والعوامل المساعدة على تشكله على مر التاريخ ودراسة الواقع في جانبه النفسي والاجتماعي والثقافي.

5. قائمة المراجع:

1. أبو الأعلى المودودي، تجديد الدين وإحيائه دار الفكر الحديث، بيروت.
2. أحمد أمين النقد الآدبي مكتبة النهضة المصرية، مصر.
3. بن نبي، مالك، 2019، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق.
4. الجوهري الفرابي، الصحاح تاج اللغة، 1987، دار العلم للملايين، بيروت.
5. زقاي، عمر ، 2012، تجديد الخطاب الديني في الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان.

6. ضيف، شوقي، البحث الأدبي(طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
7. طه عبد الرحمن، 1998، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي.
8. الفجاري، مختار، مفهوم الخطاب بين مرجعية الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية، مجلة جامعة طيبة، المدينة المنورة، العدد 3.
9. فوكو، ميشال، 1435هـ، نظام الخطاب، دار التنوير للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت.
10. المحافظ، علي، 1983، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.
11. المحمص، عبد الجواد، المنهج النفسي في النقد، دراسة تطبيقية على شعر أبو الوفا، مجلة الحرس الوطني، العدد18 .
12. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ـــــــ دراسة معجمية .
13. يوسف القرضاوي، 1989، هموم المسلم المعاصر، مكتبة التراث الإسلامي.